الخـاتمـة

أحمد الله تعالى على ما وفق وأعان، وأصلي وأسلم على نبيِّنا محمدٍ الهُمَام، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وبعدُ،

فقد جاء هذا البحث على قسمين :

القسم الأول : قسم الدراسة :

وقد جاء هذا القسم في عدة فصول :

الفصل الأول: خصصته للحديث عن الحالة السياسية، والاجتماعية لعصر الآمدي، وكذا العلمية والثقافية. ثم تحدثت عن حياته، وطلبه للعلم، وشيوخه، وتلامذته، وثناء العلماء عليه، وما أُخِذَ عليه، ثم تحدثت عن مصنفاته.

وقد بينتُ أنَّ الآمديَّ كان مقربًا عند ملوك بني العادل رغم كراهيتهم له، وعدم استقرار الأحوال السياسية في هذا العصر، وخاصَّةً عدم ثبات ملك معين على بلاد معينة كان له دَوْرٌ في تغيُّر الوضع بالتالي على الآمدي؛ إمَّا بالخروج من البلد، أو بالعزل عن منصب التدريس؛ فقد دخل الآمدي حَمَاةَ سنة ٦١٣ هـ، وأقام بها مدة إلى جوار الملك المنصور الذي أنعم عليه بنعمٍ كثيرة، وقرَّبه إليه، وجعله من أكابر خاصَّته، فما أن تُوفِّيَ الملك المنصور سنة ٦١٧ هـ حتى خرج الآمدي من حماةَ متوجهًا إلى دمشق، وفيها ولاه الملك المعظَّم عيسى بن العادل التدريس بالمدرسة العزيزيَّة، فلمَّا وَلِيَ أخوه الأشرف موسى عزله عنها.

أمَّا الحالة الاجتماعية، فقد تأثر بها في بداية حياته؛ فقد نشأ فقيرًا، حتى أغناه الله تعالى من فضله، حين دخل دمشق.

وأما الحالة العلمية والثقافية، فقد أسهم الآمديُّ فيها؛ حيث قام بالتدريس في بعض المدارس الموجودة فى هذا العصر؛ فقد تولى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي τ التي بالقرافة الصغرى، وفي مصرَ درَّس في المدرسة الصلاحية، والتي كانت أعظمَ

مدرسةٍ في العالم الإسلامي كلِّه، في ذلك الحين، وفي دمشق ولَّاه المعظم المدرسة العزيزية المجاورة لتربة الملك الناصر صلاح الدين.

وقد بدأ الآمديُّ ~ طلبه للعلم بآمد؛ فقرأ بها القرآن، والقراءات، كما قرأ على مشايخ بلده مذهب الشافعي، وحفظ كتاب "الهداية" في الفقه الحنبلي لأبي الخطاب الكلوذاني (ت ٥١٠ هـ).

ثم بدأ الآمدي رحلاته في طلب العلم، وهو ابن أربعَ عشرةَ سنة، فذهب بغداد سنة ٥٦٥ هـ. فقرأ بها القراءات أيضًا، وتفقه على ابن المنِّي الحنبلي، وسمع الحديث من أبي الفتح ابن شاتِيل، وحدَّثَ عنه بـ "غريب الحديث" لأبي عُبيد.

وفي هذه الرحلة انتقل الآمديُّ من مذهبه الحنبلي إلى مذهبه الشافعي؛ حيث التقى بالشيخ أبي القاسم ابن فضلان، وبرع عليه في الخلاف، وأحكم طريقة الشريف، وطريقة أسعد المِيْهَني، وتفنَّن في علم النظر، وأحكم الأصلين -أصول الدين، وأصول الفقه- والفلسفة، وسائر العقليات. وفي بغداد تكونت الشخصية الفلسفية للآمدي.

وبعد أن قضى الآمدي قُرَابَةَ سبعَ عشرةَ سنة في بغداد، انتقل إلى الشام؛ ليكملَ دراسته التي بدأها بآمد، فبغداد. وكان سنُّهُ إحدى وثلاثين سنة، وقضى بها عشر سنوات.

ثم انتقل إلى الديار المِصريَّة، وتولَّى الإعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعي τ التي بالقرافة الصغرى، وتصدَّرَ بالجامع الظافرى بالقاهرة مدة، واشْتَهَر بها فضلُه، واشتغل عليه الناس وانتفعوا به، وفيها عُقد له مجلسُ المناظرة، ودرَّسَ في المدرسة الصلاحية، والتي كانت أعظمَ مدرسة في العالم الإسلامي كلِّه، في ذلك الحين.

ثم حسده جماعةٌ من الفقهاء بلاد، وتعصَّبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة وانحلال الطويَّة والتعطيل ومذهب الفلاسفة والحكماء، وكتبوا محضرًا يتضمن ذلك، ووضعوا فيه خُطَوطَهم بما يُسْتَبَاحُ به الدم (لعلهم كفَّروه). فخرج من مِصْرَ مستخفيًا، وتوصَّل إلى الشام، واستوطن مدينة حَمَاةَ أربعَ سنوات، كانت من أعظم أيام حياته انتاجًا وتأليفًا، نَعِمَ فيها بالأمن والسلام، والحبِّ والتقدير.

ثم دخل دمشق، فأحسن إليه المعظم وولَّاه المدرسة العزيزية المجاورة لتربة الملك الناصر صلاح الدين. فأقبل على الاشتغال والتصنيف. وعُقِدَ له مجلسُ المناظرة ليلةَ الجمعة وليلةَ الثلاثاء بالحائط الشمالي من جامع دمشق، وكان يحضره الأكابر من كلِّ مذهب، ورحل إليه الطلبة من جميع الآفاق من سائر الطوائف؛ لطلب العلم.

وقد أقام الآمدي يُدَرِّسُ بالعزيزية زمانًا، إلى أن وَلِيَ الأشرف موسى دمشقَ فعزله عنها، ونادى في المدارس: مَنْ ذكر غيرَ التفسير، والحديث، والفقه، أو تعرَّضَ لكلام الفلاسفة نفيته. وعُزل الآمدي عن مدرسته ولزم بيته إلى أن أتاه الأجل.

أما عن شيوخه فقد تتلمذ على شيوخٍ كثيرين، حررتُ ترجمةً مختصرة لثمانية منهم. وأما عن تلامذته فهم كثيرون أيضًا، وقد ذكرتُ منهم أحد عشر تلميذًا، وحررت لهم ترجمة مختصرة، ووضحتُ فيها ما أخذوه عن الآمدي من العلوم.

وإذا كانت حكمة الله –تعالى– وإرادته قد قضتْ أنَّ الناس لا يُجمعون القول على أحدٍ من العلماء، بل ينقسم الناس إلى محبٍّ ومغرض، فقد اختلفت الآراء وتشعَّبتْ حول الآمدي بين مثنٍ عليه، وذامٍّ له، ومحبٍّ له ومبغض، وقد ذكرتُ طرفًا من ثناء العلماء وبعض تلامذته عليه، ثم عرضت لشبهتين قيلتا في حقه، وأتبعتُهما بما يَدْحَضُهُمَا إنصافًا لهذا العالم الكبير.

ترك الشيخ سيف الدين الآمدي كثيرًا من المصنفات النافعة في أصول الفقه، وعلم الكلام، والخلاف والجدل، والفلسفة والمنطق والحكمة، وقد ذكرت هذه المصنفات مصنفة تصنيفًا موضوعيًّا، إلى جانب كتابٍ لم يُعرَفْ موضوعُه، ثم أتبعته بكتابين نُسِبَا إليه، وليسا له.

الفصل الثاني: أثبتُ فيه صحة نسبة الكتاب إلى الآمدي، ثم تحدَّثتُ عن أصل الكتاب –وهو كتاب "الإحكام"– وأهميته، ثم عرضتُ لمنهج الآمدي في كتابه: "منتهى السول"؛ فابتدأتُه بذكر نُبذةٍ حول طرائق التصنيف في علم الأصول، ثم أعقبته بذكر بعضِ ما يَرِدُ على الكتاب من مآخذ. ثم عقدت مقارنةً بين كتابي "الإحكام"، ومختصرِهِ "منتهى السول".

ثم عرضتُ لمنهجي الذي سرتُ عليه في تحقيق المخطوط، وفي نهاية الفصل ذكرتُ بالتفصيل نُسَخَ الكتاب (المخطوطة والمطبوعة).

الفصل الثالث: درست فيه ثلاثة مسائل أصولية دراسةً موضوعية؛ وهي: استمداد علم أصول الفقه، والواجب الكفائي، وأهميته في الوقت الحاضر، وخبر الآحاد بين القطعية والظنية.

الفصل الرابع: عرضتُ فيه لآراء الإمام الآمدي الأصولية، في القدر المحَقَّق من الكتاب، مسألة مسألة على الترتيب والتوالي، وبيَّنتُ اختياره فيها؛ تيسيرًا على من يريد أن يقفَ على رأيَه في مسألةٍ ما دون التعرُّض لذكر المذاهب المختلفة والاعتراضات والردود عليها. وذكرت -بصورة موجزة- من وافقه الآمديُّ ومن خالفه، وما انفرد به.

* * *

القسم الثاني : قسم التحقيق :

ويتضمن صورًا من نسخ المخطوط الأربع، ثم يأتي نصُّ الكتاب.

واللهَ تعالى أسأل أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه بكل جميلٍ كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

* * *